https://ijches.com/ العدد الأول، يناير 2023 المجلة الدولية للعلوم التربوية والإنسانية المعاصرة
Online ISSN: 2974 – 3079 Print ISSN: 2974 - 3060

Contemporary Critical Procedures: Its Relationship to the literary Text and the Limits of the Approach

Mohammed Belaid

Research Prof of Arabic Language in Secondary Education, Morocco

almorabitainbelaid@gmail.com

Online ISSN: 2974 – 3079 Print ISSN: 2974 - 3060

Abstract Contemporary Critical Procedures: Its Relationship to the literary Text and the Limits of the Approach

Every literary text is in dire need to a discourse to comment on, interpret, analyze, evaluate, taste, or create another text equivalent to it…that discourse is literary criticism as a complex intellectual process. We seek through this paper to disclose the contemporary critical procedures and to indicate their relationship with the literary text and their intersection with a range of other fields of knowledge on which Enrichment of artistic creativity depends, emphasizing the limits of each critical approach.

Keywords: Contemporary Critical Procedures, Relationship, the Literary text, Limits of the Approach.

المجلة الدولية للعلوم التربوية والإنسانية المعاصرة
العدد الأول، يناير 2023
https://ijches.com/
Print ISSN: 2974 - 3060
Online ISSN: 2974 – 3079

الإجراءات النقدية المعاصرة: علاقتها بالنص الأدبي وحدود المنهج

الباحث بلعيد محمد

أستاذ باحث بالتعليم الثانوي التأهيلي/المغرب.

almorabitainbelaid@gmail.com

المجلة الدولية للعلوم التربوية والإنسانية المعاصرة
العدد الأول، يناير 2023
https://ijches.com/
Print ISSN: 2974 - 3060
Online ISSN: 2974 – 3079

الإجراءات النقدية المعاصرة: علاقتها بالنص الأدبي وحدود المنهج

المستخلص

كل نص أدبي في حاجة ماسة إلى خطاب يعلّق عليه، أو يفسره أو يحلله، أو يقومه، أو يتذوقه، أو يبدع منه نصا آخرا يوازيه...ذلك الخطاب هو النقد الأدبي باعتباره عملية فكرية مركبة. نسعى من خلال هذه الورقة إلى رصد الإجراءات النقدية المعاصرة وبيان علاقتها بالنص الأدبي وتقاطعها مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى التي تعتمد عليها إغناء للإبداع الفني، مع التأكيد على حدود اختصاص كل منهج نقدي.

الكلمات المفتاحية: الإجراءات النقدية المعاصرة – العلاقة– النص الأدبي– حدود المنهج.

Print ISSN: 2974 - 3060 Online ISSN: 2974 – 3079

مقدمة

الحديث عن النقد في جوهره حديث عن لغة ثانية، لا تُمنح لها مصداقيتها الإجرائية إلا انطلاقا من لغة النص، والذي يجمع بين اللغتين هو المجال الأدبي، لكن التباين بينهما يتضح حين يتعلق الأمر بالاشتغال. لغة الأدب كما هو معلوم تنحاز إلى الانزياح، من خلال توظيفها مجموعة من الصور البيانية التي تخرج بها عن المألوف. أما لغة النقد فتميل إلى الصرامة والدقة العلمية ومحاولة الموضوعية، باعتبارها معرفة نظرية مبلورة في تصور منهجي يتوخى فهم وشرح وتفسير وتمييز النص الأدبي وتفكيك بنياته قصد استكناه دلالاته، ومعرفة مكوناته والآليات المتحكمة فيه، وبالتالي إصدار الحكم عليه، مع التعليل المقنع للحكم الصادر طبعا. ليس صحيحا ما ذكره "مونتيسكيو من أن النقاد يشبهون جنرالات فاشلين عجزوا عن الاستيلاء على بلد ما فلوثوا مياهه،"(ظاظا, 1997، ص 10) بل النقد مقياس مراجعة وتمييز وتقدير وتوجيه لأي نص كيفما كان نوعه وهو بالدرجة الأولى "حديث حول الأدب، يتضمن الوصف والتحليل والتفسير والتذوق إضافة إلى تقويم الأعمال الأدبية، فهو يتعامل مع الحديث المجازي كحديث غير مكتمل بدونه". (هيرنادي, 1989، ص 288) لذا من الواجب أن نتساءل عن الإجراءات النقدية المعاصرة وبيان علاقتها بالنص الأدبي وتقاطعها مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى التي تعتمد عليها إغناء للإبداع الفني، مع التأكيد على حدود اختصاص المنهج النقدي.

1- الإجراء النقدي: علاقته بالنص الأدبي وحدود المنهج

Print ISSN: 2974 - 3060 Online ISSN: 2974 – 3079

أ–النقد: تفسير وتقويم وتوجيه

النقد باعتباره تفسيرا وتقويما وتوجيها، أطروحة المنهج الواقعي بامتياز، هذا الأخير الذي يُقَيِّمُ العمل الأدبي بمقدار أمانته وإخلاصه (للواقع)، وينظر إليه كتعبير عن واقع اجتماعي معين ينطوي على قيم جمالية وفنية يحمل في طياته رؤية فكرية، أو فلسفية محددة تحتاج بالضرورة إلى تفسير وتقويم وتوجيه.

هذا ما ذهب إليه محمد مندور حين اعتبر النقد تفسيرا للأعمال الأدبية والفنية، وتحليلها ومساعدة عامة القراء على فهمها، وإدراك مراميها القريبة والبعيدة. وتقييما للعمل الأدبي في مستوياته المختلفة، أي في مضمونه وشكله الفني...وتوجيها للأدباء والفنانين في غير تعسف ولا إملاء ولكن التبصير بقيم العصر وحاجة البشر ومطالبهم وما ينتظرونه من الأدباء والفنانين. (مندور, 1997) فقد جمع هذا التعريف أدوار النقد، التفسير والتقويم والتوجيه، وهذا مطلب فرضته خصوصية الأعمال الأدبية لما تتميز به من غموض وغرابة وإيحاء ورموز تستوجب التفسير والتقويم وتوجيه الأدباء والقراء على حد سواء.

يقول عبد العظيم أنيس: النقد الأدبي الحقيقي هو الذي يستهدف توجيه وإعانة القارئ، على تفهم العمل الأدبي وكشف المغلق من مضامينه وأشكاله وإدخال القارئ إلى مواطن أسراره الجمالية وإرهاف حسه الجمالي وإغناء وجدانه ووعيه بالقدرة على استبطان التجارب والأفكار والدلالات الاجتماعية التي يقفها الأديب تجاه قضايا عصره ومجتمعه وعالمه، أي تجاه الإنسان. (أنيس, 1988، ص 239) فدور العملية النقدية بهذا المعنى، تفسير الأدب استعانة بمقامات سياقية، فنحن نأتي إلى النص مدججين بمجموعة من المعارف المسبقة متصلة بما هو ثقافي، أو اجتماعي، أو تاريخي، أو نفسي..إلخ) نسقطها عليه. ثم يأتي دور التقويم أي إصدار حكم وجهة نظر على العمل الأدبي من خلال الوقوف عند ثغرات ونقائص الكُتَّاب وتقويم أخطائهم، بل وإرشادهم إلى الطريق القويم ثم توجيههم إلى الغايات السليمة.

فالأديب عند النقاد الواقعيين ينبغي أن يجعل من أدبه وسيلة لتطوير المجتمع نحو هدف أكثر تقدما وإسعادا للبشر، لذلك نجدهم يركزون في تقديمهم على عنصر التقييم ويرون أن محاسبة الكاتب كفنان من البدهيات التي لا تحتاج إلى جدل، وأن الحكم النقدي ضروري لأن النقد إبراز لقيمة العمل الأدبي. (زعموش, عمار، 2001، صفحة 107) وبالتالي فإن التقويم يحمل في طياته عنصرا مضمرا هو التوجيه الذي يمثل الدور الثالث في النقد الواقعي، على أساس أن الأديب يحمل رؤية فلسفية ينبغي تجسيدها في العمل الأدبي ويعمل على تحقيقها في الواقع المعيش، لذلك يتم التركيز على المحتوى وعلى اتخاذ القيم السائدة فكريا وفنيا نموذجا لممارسة فعل التوجيه. وهذه

لعمري، طريقة بيداغوجية تنطوي على طابع الأستاذية، "فالناقد مرشد لأنه كثيرا ما يرد كاتبا إلى صوابه، أو يهدي شاعرا ضالا إلى سبيله." (نعيمة, 1991، ص 19)

بناء عليه، فإن الغرض الذي يروم إليه هذا النوع من النقد الواقعي/المعياري– الذي يطرح سؤالين مهمين: من كتب النص؟ ولأي غاية؟– هو وضع مقاييس من شأنها المساعدة على تقييم العمل الأدبي والحكم عليه بوجهة نظر معينة.

ب–النقد: إبداع على إبداع

وصف النقد بالإبداع نجده مع تيزفتان تودوروف (Todorov Tzvetan) في كتابه (نقد النقد Critique de la critique) خاصة في الفصل المعنون بالنقاد الأدباء (les critique – écrivains)، (Todorov, 1986, p. 102) حيث يعمد الناقد إلى فحص أعمال ثلاثة نقاد فرنسيين كبار وهمْ: جان بول سارتر وموريس بلانشو ورولان بارت، وهو يدعوهم عمدا بالنقاد الأدباء تمييزا لهم عن بقية النقاد. والسبب في ذلك هو أن نصوصهم النقدية ذات قيمة فنية جمالية بغض النظر عن مضمونها "إنها نصوص أدبية بالمعنى العالي والرفيع للكلمة، وفي أحيان كثيرة تتجاوز في أهميتها النص المنقود." (تودوروف, 1985، ص 32) ووصف الناقد بالمبدع هو دعوة إلى الإتيان بالجديد، "فالنقد فن يعالج العمل الفني كنقطة انطلاق لخلق عمل فني جديد، كبداية لعمل جديد يكتبه الناقد، قد لا يكون له أي وجه شبه واضح بالعمل الذي ينقده." (ويليك, 1987، ص 314) لهذا يرفع (رولان بارت R .Barthes)، من قيمة النقد فيضعه في مستوى الإبداع "الناقد يجعل لغة ثانية تطفو فوق اللغة الأولى للأثر أي أنه يفتح تلاحمات للعلامات." (Barthes, 1964, p. 275) ويرتقي (جان إيف تاديي J.yves Tadie) هو الآخر بالنقد إلى مستوى الإبداع حين يعتبره جنسا أدبيا، "النقد جنس أدبي...إنه أدب من الدرجة الثانية حيث يشهد عصرنا على توسعه اللامحدود." (Tadie, 1987, p. 15) فاللغة النقدية وفق هذا المعنى، استقصاء للغة كائنة سلفا، إبداع على إبداع.

ووصف الناقد بالمبدع نجده أيضا عند زكي نجيب محمود إذ يقول: لا حرج على الناقد في أن يعبر عن وقع الأثر الأدبي أو الفني في نفسه، تعبيرا هو بغير شك يندرج تحت مقولة الإبداع، لكن ذلك الناقد قد أخطأ في هذه الحالة حين أطلق على نفسه صفة الناقد، اللهم إلا على سبيل التجوز الذي يبعده عن دقة الوصف، وإلا فما هو الفرق من حيث الجوهر بين مبدع وقف على شاطئ النيل في ظلال مجموعة من النخيل فأحس بالنشوة، ثم أجاد التعبير عنها، وبين ناقد وقف أمام ديوان من الشعر وأحس بالنشوة لما تلقاه عن قراءته من قصائد ذلك الديوان، ثم جلس يعبر عن تلك النشوة فأجاد التعبير؟ إنه لا فرق يعتد بين الحالتين، ولذلك فالتعبير عن النشوة هو إبداع أدبي في الحالتين إذا أجاد الكاتب وسيلة التعبير. (محمود، 2005)

ثم إن ماجدة حمُّود تطرح مسألة العلاقة بين النقد والإبداع، حيث تؤكد أن الناقد مبدع ليس فقط بسبب طبيعته الأدبية، وإنما لكونه يأتي بالجديد. لا شك أن النص النقدي حين يقدم للقارئ بثوب جميل سيترك أثرا طيبا في نفسه، فالذي يهمه أن يستمتع في القراءة بقدر ما يستفيد، وبذلك يمكن للنص النقدي أن ينأى عن الجفاف والصلابة في التعبير فيكتسب بذلك تفاعل القارئ وانجذابه لمتابعة الخطاب الجديد، وعندئذ يستطيع أن يقوم بدوره بشكل أفضل باعتقادنا فتبرز فاعليته في حياتنا وأدبنا على السواء. (حمودة, 1997)

فهل تستطيع اللغة الثانية فعلا أن تصل إلى مستوى الإبداع الذي تتصف به اللغة الأولى؟

يجيب شوقي ضيق بقوله: إنما ادعيناه فنا لأن أصحابه يعالجون أفكارهم فيه معالجة فنية، فهم يعنون بعباراتهم كما يعنون بمعانيهم، فمثلهم مثل، الأدباء يحاولون التأثير في قرائهم بوسيلتين: المعاني التي يفسرون بها قيم الآثار الأدبية، والأساليب التي يعرضون بها هذه المعاني، إذ يطلبون فيها الروعة البيانية، حتى يقتنع القارئ ويسلم لهم بما يقولون ويقررون. (شوقي, 1954،ص 9) فهذا النمط من النقد الانطباعي الذي يُعتبر إبداعا، سؤاله الأساس: كيف يستمتع القارئ بالنص؟

ج–النقد: تحليل

في مقال لرولان بارت عن بداية التحليل الأدبي تحت عنوان: من أين نبدأ؟ يشبه النص بنسيج محكم النسج عندما يتساءل: كيف يمكن للمرء أن يسحب الخيط الأول؟ ذلك أن عملية النقد الأدبي تبدأ بنوع من نسل الخيوط فالنص بهذا المعنى، يكون قد نسج عناصره فعلا بضم بعضها إلى البعض الآخر، وعلى الناقد أن يميز بينها وأن يحدد علاقتها. فإذا كان ناقدا مبدعا، فإنه يفعل ذلك بطرق جديدة، بيد أن نشاطه الأصلي ينبغي أن يكون تحليليا علميا منطقيا، يسعى لفهم النظام الذي يسيطر على عناصر الأثر الأدبي، وهذا الفهم المحايث ذو النزعة البنيوية، يعد من السمات الهامة التي تعمل على تزويد النقد الأدبي بطابع الدقة و(الموضوعية). (دوجلاس, 1983)

ولعل هذا ما يؤكده أحد النقاد الفرنسيين المعاصرين (بيير ماشيري) حين عرض رأيه الموجز حول النقد في وظيفته مستخلصا أن النقد شكل من أشكال المعرفة العلمية موجه نحو إضاءة وتفسير الآثار الأدبية، ومهمة الناقد أن يقرأ الأثر قراءة لغوية وفنية ويحدد له مكانا داخل نظام الإنتاج الأدبي عن طريق اكتشاف قوانينه اللغوية والفنية عن طريق الاستعانة بمفاهيم وفروض علم اللسانيات. (حجازي, 1983)

فالنقد بهذا المعنى، دراسة للأثر الأدبي تلتزم بمبادئ علم اللغة، بهدف الكشف عن القواعد أو القوانين التي تحكمه، ذلك أن الوصول إلى قوانين أو قواعد للتعبير الأدبي هو مبتغى أي تحليلي بنائي.

وقد لخص تودوروف أسس النقد التحليلي/ البنيوي كالتالي:

–النص الأدبي هو الموضوع الجوهري للنقد.

–أنه أي النص، نتاج لغوي قبل كل شيء، لا مجال للتأويلات الخارجة عن نطاق اللغة.

–أنه يمثل وحدة مغلقة، ودراسته يجب أن تتم داخلها، وذلك بتحليل معطياتها الخاصة بها، ووصف القوانين التي تتحكم في تركيبها، وتوضيح كيفية عمل أبنيتها والعلاقة بينها. (دياب، 1983)

لذلك فإن النقد التحليلي "لا يهتم أبدا بشرح النص الأدبي، أو تفسيره، ولا يطرح– على الإطلاق– سؤالا عن وظيفته، وهو لا يهتم بالبحث عن القيمة الثقافية لموضوعه" (Eagleton, 1996, p. 166) بل يطرح سؤالا واحدا: كيف قال النص ما قاله؟

د–النقد: قراءة

النقد في أساسه، ضرب من القراءة، ذلك أن هذه الأخيرة في جوهرها عملية ذهنية يمارسها القارئ، وكل ممارسة تحتاج إلى أدوات كي تصبح نشاطا ذهنيا منتجا، وبالتالي تكون منتجة حين يكون باستطاعة القارئ أن يفهم النص ويفسره ويحلله ويناقشه. ثم إن النقد، هو قراءة تمكن من يمارسها من أن يكون له حضوره الفاعل في النتاج الثقافي في المجتمع، أي أن يكون معنيا بالحياة التي تنمو وتتغير حوله، فيسهم من موقعه في المجتمع، في تطويرها. لكن لماذا النقد قراءة؟ تجيب يمنى العيد: نعرف أن النقد يعتمد النص موضوعا له، لكنه يشتغل على نص آخر، وهذا الاشتغال الآخر يعني أولا وقبل كل شيء قراءة هذا النص ومعرفته، ليس من نص نقدي بدون نص مقروء. هذا التشديد على صفة القراءة للنقد تأكيد على أهمية النص المقروء سواء أقاربه القارئ المنتج بطريقة محايثة أو من موقع البحث عن قيمة أخرى خارج السياق النصي، فسلطة القارئ ليست بريئة تماما، بمعنى أنها تقرأ النص وهي محكومة بخلفيات معرفية مختلفة. (العيد, 1986)

لعل هذا ما جعل تيزفيتان تودوروف يميز بين ثلاثة أنماط من القراءات "الإسقاطية، والتعليقية، والشعرية، فالإسقاطية تنكر استقلالية النص وخصوصيته، وتتجه نحو المؤلف أو المجتمع أو شيء آخر يهم الناقد، والتعليقية تأخذ بالمعنى، والشعرية، تتناول النص من خلال شفرته بناء على معطيات السياق." (شولز, 1984،ص 163)

النقد قراءة منتجة تتميز بخصائص ومقومات خاصة بها وتحتكم إلى ضابط منهجي بعينه يقارب النص الأدبي، إنها قراءة واضحة المعالم وأقرب للموضوعية تنجز من فرد معين هو القارئ/ الناقد أو ما يسمى بالقارئ

المنتج، الذي سيسعى إلى تقديم صوغ لساني، لطبيعة فهمه واستجابة للنص الأدبي المنقود، في صورة مقالة نقدية لها منطلقاتها الفكرية والنظرية وشروطها المعرفية العامة التي تكون ضمنية أو صريحة... سينتج الناقد نصا جديدا ذا طبيعة معرفية في جوهرها. ذلكم هو النص النقدي وسيكون لهذا النص الجديد قراؤه المنتجين وربما قراؤه غير المنتجين أيضا. (باقر جاسم, 2009)

النقد ضرب من القراءة جاء مع الاتجاهات المسماة بنقد (ما بعد الحداثة)، التي أعلت من سلطة القارئ بوصفه فارسا للنص. فاعتبار النقد قراءة كما هو معلوم، جاء مع بزوغ نظرية التلقي خاصة مع مدرسة (كونستانس) الألمانية بجناحيها: هانس روبرت ياوس وفولفغانغ إيزر اللذان يتحدثان عن القراءة باعتبارها منهجا له أدواته الإجرائية، وتصورا خاصا للعملية الإبداعية. ف(إيزر) على سبيل المثال، يقول بالقطب الفني والقطب الجمالي ذلك أن الشيء الأساس في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه. ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبي قطبين: القطب الفني (artistic) والقطب الجمالي (esthetic)، الأول هو نص المؤلِّف، والثاني هو الفعل الذي ينجزه القارئ. ومن ثم فإن إيزر يرى أن النص مليء بفراغات يجب على القارئ أن يملأها حتى يتفاعل معه، لذلك يتساءل عن "كيفية ملء البياضات أو الفراغات التي تتقدم في النص من طرف القارئ." (Iser, 1985, p. 309) كما أن ياوس يقدم هو الآخر رؤية نقدية متكاملة من خلال التأكيد على "النص الجديد الذي يثير عند القارئ أفق توقعات وقواعد اللعبة التي استأنس بها في اتصاله بنصوص سابقة. إن هذا الأفق يخضع، بعد ذلك، مع تولي القراءات، إلى التغيير أو التصحيح أو التعديل أو يقتصر على إعادة إنتاجه." (Jaus, 1978, p. 50)

كما أن اعتبار النقد قراءة جاء أيضا مع التفكيكية وليست القراءة هاهنا، مسحا بصريا على الحروف أو الأصوات، وإنما تعني التفكيك والكشف عن التناقضات والمسكوت عنه. يقول جاك دريدا في هذا السياق ما يهمني في القراءات ليس النقد من الخارج، وإنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية، يقرأ من خلالها النص نفسه، ويفكك نفسه بنفسه...وأن يفكك النص نفسه بنفسه، فهذا يعني أنه لا يتبع حركة مرجعية ذاتية، حركة نص لا يرجع إلا إلى لنفسه، وإنما هناك في النص قوى متنافرة تأتي لتقويضه. (Derrida, 1967, p. 42) وبهذا يرفع دريدا من شأن الاختلاف والتعدد، حيث يلغي ميتافيزيقا الحضور(المعنى المحدد)، ليحل محلها تعويم المعاني وانفتاح القارئ على دلالات لانهائية، فقد آن للقارئ أن يتكلم بعد (موت الكاتب)، هذا النوع من النقد الذي يُعتبر قراءة، يطرح أسئلة من قبيل: من يقرأ النص؟ ومتى؟ وكيف؟

عموما يمكن إجمال التصورات النظرية حول الإجراءات النقدية المعاصرة وبيان علاقتها بالنص الأدبي مع حدود المنهج في المخطط التالي:

Print ISSN: 2974 - 3060 Online ISSN: 2974 – 3079

	النشاط	الاهتمام النقدي	المنهج النقدي	السؤال النقدي
	تفسير وتقويم وتوجيه	المؤلِّف	الواقعي..	سؤاله: من كتب النص؟
إجراءات النقد المعاصر	إبداع	الذوق	الانطباعي..	سؤاله: كيف نستمتع بالنص ؟
	تحليل	النص	البنيوي..	سؤاله: كيف قال النص ما قاله؟
	قراءة	القارئ	نظرية التلقي/ التفكيكية	سؤاله: من يقرأ النص؟

يظهر لنا المخطط أعلاه التعاقب المنهجي للنقد وتدرجه من الاهتمام بالمؤلِّف، فالنص ثم القارئ. وسؤاله: من كتب النص؟ كيف نستمتع بالنص ؟ كيف قال النص ما قاله؟ من يقرأ النص؟ متى؟ وكيف؟ وعملياته الإجرائية قائمة على التفسير، أو التحليل، أو التوجيه، أو التقويم، أو الذوق، أو القراءة، كل في فلك يسبحون ولا قطائع بين هذه العمليات.

النقد تفسير بمعنى أنه اكتشاف للعلاقات بين مكونات العمل الأدبي، وربطها بالسياق الاجتماعي والتاريخي والنفسي الذي أنتجها. وهو تقويم بمعنى أنه حكم واكتشاف وتقدير للقيمة التي تنطوي عليها العلاقات التي تجمع بين عناصر العمل الأدبي. كما أنه تحليل أي بحث في مكونات العمل الأدبي. وهو إبداع بمعنى أصالة أي الإتيان بالجديد، وقراءة أي تفاعل بين صوتين: صوت القارئ وصوت النص استناد إلى حيثيات منهجية منظمة تتوفر عليها ذات القارئ/الناقد. والنقد في نهاية المطاف، ذوق فني كون الذاتية حاضرة بطريقة أو بأخرى وأن الناقد فنان يحسن التذوق أي يحسن التعبير عن ذاتيته.

2- حاجة الإجراء النقدي لمعارف مجاورة إغناء للنص

أ- النقد والعلوم المجاورة:

إن حدود النقد الأدبي لا تقف عند دراسة النصوص الأدبية وتذوقها واعتماد اللسانيات المعاصرة لوحدها كرؤية قادرة على مقاربة النص الأدبي، فليس صحيحا أن إقحام الملابسات الخارجية كالتاريخ أو علم النفس أو علم الاجتماع أو غيره في دراسة الأدب هو إدخال لمصطلحات قمعية، فالنقد الأدبي يعد من أكثر الحقول المعرفية التي تحتاج إلى عصف ذهني. إنه- أعني النقد الأدبي- نشاط فكري ذوقي قائم على العمليات الآتية: التفسير والتحليل والإبداع والقراءة والذوق، نستطيع بواسطته شرح وفهم الأعمال الأدبية. نستشف من هذا التعريف أولا، تعدد نشاطات النقد وثانيا، اتساع أدواره أي عدم اكتفائه بدراسة النصوص وتذوقها وبيان مواطن الجودة والرداءة فيها كما يفهم عادة من كلمة النقد، بل إن مجاله يتسع ليتناول خصائص الأدب وأنواعه ومعاييره ووظائفه وكل ما يندرج ضمن النظرية الأدبية. "فالنقد الأدبي كثيرا ما يستخدم بشكل يجعله يشتمل على النظرية الأدبية أيضا"، (ويليك, 1987،ص 9) بل

Print ISSN: 2974 - 3060 Online ISSN: 2974 – 3079

يتسع مجاله فيتقاطع مع مختلف أنواع المعرفة بحيث يمتد ليلامس العلوم الإنسانية كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، وعلم الجمال والفلسفة، وقد يتصل بالعلوم الطبيعية الأخرى كالبيولوجيا وغيرها. إن علاقة النقد الأدبي بالمعارف المجاورة له، قائمة على أساس الترابط والتكامل، من هنا ينبغي التجسير ذلك أن النشاط التفسيري غير ممكن دون الاستعانة بتاريخ الأدب "إن العمل الأدبي لا يمكن تفسيره إلا في ضوء التاريخ وأن الجهل بالتاريخ يشوه قراءة العمل." (ويليك, 1987، ص 15)

يبدو أن النقد لابد أن يعتمد على التاريخ، لكن شريطة أن لا يتحول الناقد إلى مؤرخ من الدرجة الثانية، يجمع أكبر عدد من الحقائق ويرجع إلى السجلات والمدونات والشواهد...إنه يدرس ليصف الأمور كما هي، فهو يدرس الذوق في عصر ذلك الأديب والطرق التي يتم بها إرضاء ذلك الذوق...إنه ينتقي، فإذا لم يمتلك الناقِدية فإنه يغرق في العصر الذي يدرسه ويصير جزءا منه وحجرا من أحجاره...فالتاريخ وسيلة لا غاية. (الطاهر، 1979)

ويستطيع علم النفس أن يقدم هو الآخر الكثير للناقد الأدبي ففاعلية التقدير مهمة في النقد ذلك أن الدراسة النفسية للكاتب باعتباره نموذجا وفردا تساعد كثيرا في تقدير القيمة الحقيقية للأفكار التي يبشر بها والاتجاه الفني الذي يسلكه، فلا أحد يستطيع أن ينكر مثلا مقدار ما قدمته دراسة عباس محمود العقاد عن ابن الرومي من إسهام في فهم شعره وتذوقه...وفي حالة الأدباء الذين سيطرت على أدبهم نزعات غريبة يساعدنا علم النفس كثيرا في وضع إنتاجهم في الموضع الذي يستحقه ومثاله (كافكا). (الخطيب, 1981)

إذن، لابد للنقد أن يستخدم بعض أدوات علم النفس وإلا فاته الكثير. لكن ضمن نظرة نقدية متوازنة لئلا ينقلب بموجبه العمل النقدي إلى نوع من العيادة النفسية للمؤلف أو مجالا للتحليل النفسي الاحترافي للشخصيات الفنية في الأعمال المسرحية أو القصصية، أو محاولة لإظهار النتاج الأدبي بمظهر الحصيلة المرضية أو الهروبية لأناس نكصوا عن مواجهة واقعهم، كما يوحي بذلك علم النفس الفرويدي. (الخطيب, 1981)

ليس علم النفس وحده الذي يمنح الناقد فرصا لا بأس بها للوقوف على الأعمال الأدبية ذلك أن عمليتي التفسير والتحليل غير ممكنتين دون استعانة أيضا بعلم الاجتماع. فالنقد الأدبي في معاناته وقصور تحليله عن الإحاطة بالواقعة الأدبية ومعالجة معطياتها والبحث في جمالياتها، وفي الوقت الذي ينحو فيه إلى التخصص، فإنه من الطبيعي أن يتطلع إلى أنماط أخرى للتفسير والتحليل مستوحاة من علم الاجتماع، وهو ما قد يؤدي إلى إغناء متبادل، وتخط مشترك وفعال لمشكلات عدة. (دياب, 1983)

كما أن عملية التحليل تستحيل إذا لم يتسلح الناقد بمبادئ علم اللغة "الشرط الجوهري لتحليل، أي عمل أدبي هو التمكن من اللغة التي يكتب بها، ومن تم فإن كل الدراسات الدقيقة التي يقوم بها علماء اللغة لتحديد طبيعة

اللغة سوف تساعد في دراسة الأدب...فاللغويون حرفيون جيدون سيساعدون في عملية النقد." (أمبريت، 2000،ص 20)

وفي المسعى نفسه حول حدود النقد الأدبي لابد من التعريج على ارتباطه كذلك بالعلوم الطبيعية خاصة (البيولوجيا) فقد حاول النقاد أن يضعوا للآداب قوانين كقوانين العلوم التجريبية فيما أمكنهم أن يسموه بالتاريخ الطبيعي للآداب، فطبقوا على الأدباء منهج الطبيعيين في تصنيف النباتات والحيوان، ورتبوا الأدباء في طبقات، وصنفوهم في فصائل بحسب خصائصهم الأدبية. وقد طبق النقاد قوانين الجنس والبيئة والزمان، وطبق الآخرون على الأدب ما ذهب إليه داروين في نظرية النشوء والارتقاء أو تطور الكائنات. ودلالة ذلك واضحة عند الناقدين(سانت بوف) وتلميذه (هيبوليت تين). (وليد، 2007)

ب–النقد والفلسفة:

لاشك أن الفلسفة بمثابة أرض خصبة لفهم النقد ومناهجه، فمن خلالها يستطيع النظر إلى موضوعاته نظرة تأملية عميقة، بحيث لا يكتفي بالظاهر بل يسعى إلى التعمق في تلك الموضوعات لأنه يروم إلى الكشف عما وراء النصوص الأدبية، وسبر أغوارها.

يقول محمود أمين العالم: إن النقد الأدبي في حد ذاته تنظيرا كان أو تطبيقا ممارسة فلسفية، فهو بمختلف اتجاهاته امتداد تطبيقي للفلسفة بمستوى أو بآخر، في مجال محدد، هو مجال الإبداع الأدبي، أي إنتاج نظري مادته وموضوعه وقائع الإبداع الأدبي، فإذا كانت الفلسفة بمعناها العام هي محاولة للكشف عن القوانين الكلية في الوجود الطبيعي والإنساني بشكل عام، فإن النقد الأدبي هو محاولة كذلك– خاصة في جانبه النظري– للكشف عن المعاني الدفينة والقوانين الكلية في التعبير الأدبي بشكل خاص، إنه امتداد تطبيقي تخصصي لفرع من فروع الفلسفة هو علم الجمال، وهو بحث عن العام في الخاص، أو هو اكتشاف لخصوصيات العام في واقع خاص هو واقع التعبير الأدبي. (أمين، 1987، ص 579)

ولهذا كان من الطبيعي أن يصدر مفهوم نظرية محاكاة المحاكاة لأفلاطون من فلسفته الخاصة فالشاعر لديه كالرسام يأتي ثالثا في البعد عن الحقيقة. هناك السرير المثالي الذي خلقه الله، ثم السرير الذي صنعه النجار محاكاة للسرير المثالي، ثم السرير الذي رسمه الرسام محاكاة لسرير النجار...فالشاعر عنده ينال في جمهوريته القسط الأقسى، فالواجب عليه أن يخلص في إيمانه بالآلهة ويقدسهم ويرفع أسماءهم عن أن تذكر فيما لا يليق، والواجب عليه أن يكون مثالا في الصدق والضبط والطاعة، وهذا يعني أن لا ينظم الشعر إلا في الغرض الأخلاقي الذي

يحبب إلى الناس الفضائل ويربي الناشئة الخصال الحميدة... وإذا خرج عن هذه الحدود طُرد من الجمهورية أشد طردة...فالمقياس النقدي هو الخضوع والطاعة لا الموهبة. (الطاهر, 1979)

يبدو من هذا الكلام، أن أفلاطون يقدم النظرية على النقد فهو يمثل أنموذجا خاصا لنظرية محاكاة المحاكاة وللفلسفة القائمة على الهدف التربوي. وهو بذلك يخالف تلميذه أرسطو الواقعي الذي يضع النقد قَبل النظرية بحيث يقف إزاء النص الأدبي كمحلل فيستخرج من خلال تقصيه واطلاعه الواسع قواعد عامة وبالتالي "يحكم على النص الأدبي بالجودة أو الرداءة بمقتضى تلك القواعد التي قررها في كتابه (فن الشعر) أو– (فن الخطابة) على سبيل المثال– وهذا ما يسمى بالنقد القاعدي أو المعياري." (الطاهر, 1979، ص 339)

في الفلسفة العربية الإسلامية يمكن أن نتحدث مثلا عن نظرية الشعر عند الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم، هؤلاء الذين حاولوا أن يستخلصوا كذلك القوانين الكلية للشعر ويربطوا بينه وبين المعرفة سيرا على منوال(المعلم الأول) أرسطو وقد قال هؤلاء الفلاسفة بنظرية المحاكاة أيضا. والشعر عندهم عمل تخييلي مؤثر في المتلقي يحمل صفة المتعة والفائدة. وبما أن النقد كما ألمحنا نشاط فلسفي تخضع مفاهيمه خضوعا مباشرا للعناصر الرئيسة في النظريات الفلسفية فإننا نجد في الدراسات الأوروبية عامة عناية خاصة بتحديد الدلالات الفلسفية العامة للأعمال الأدبية والنقدية يردها إلى النظريات الفلسفية المختلفة، مثل الجمالية عند كانط، والنظرية الواقعية التاريخية عند هيغل، أو الحدسية عند كروتشي وبرجسون، أو النفسية، أو الوجودية أو الوضعية...وهناك مدرسة تبرز هذه الأيام هي الهيرمنيوطيقا...التي تجعل مهمتها الأساس تفسير النصوص وكشف دلالاتها الفلسفية في علاقتها بالذات صاحبة النص، أو المفسرة له ويمتد مفهوم النص عند هذه المدرسة ليشمل النص النقدي. (أمين، 1987)

ونستطيع أن نلمس أوجه التقاطع بين العملية النقدية والعملية الفلسفية بشكل واضح، فيما أورده زكي نجيب محمود حول طبيعة العمل النقدي والعمل الفلسفي، فهما يتفقان في أنهما يتجاوزان السطح ويتجهان إلى العمق، بحثا عن الجذور–المبادئ–الأفكار– المستنبطة في الظاهرة التي تراها العيون. ولكن، كما أن التفكير الفلسفي قد يتحرك في اتجاه أفقي، كما هو الشأن في التحليلات المنطقية، فكذلك النقد أيضا، وذلك عندما يشغل الناقد نفسه بالمفردات في البيت الشعري مثلا، وعلاقة بعضها ببعض، فإنه– في هذه الحالة– يتحرك في البيت ذاهبا آيبا– ممثلا لهذا النوع من المزاج النقدي. وهناك أيضا الاتجاه النقدي الآخر الذي يتناول القصيدة بوصفها كلا، ويخوص في أعماقها ليقع على الجذور التي انبثقت منها شجرة القصيدة. هذا هو وجه الشبه بين طبيعة الفكر الفلسفي وطبيعة الفكر النقدي...ونتيجة هذا كله أن الفيلسوف ينتهي إلى مبدأ يشمل الكون كله، أما الناقد فإنه ينتهي إلى حكم نقدي على قصيدة من القصائد أو رواية من الروايات، إن طبيعة العمل لديهما واحدة. (محمود, 1983)

يترتب على ذلك، أن الإطار الفلسفي يعتبر الأساس الذي ينبني عليه النقد الأدبي فهو بمثابة المرشد/الموجه، فلا يمكن أن نتصور منهجا نقديا معاصرا بدون اتكائه على مفاهيم أو مرجعيات فلسفية تشكل بنيانه المرصوص يقول أحد النقاد في هذا الصدد: "لا يمكن أن نتصور ظاهرة نقدية بدون أرضية فلسفية صلبة." (سالم, 2007، ص 45)

وأخيرا وليس آخرا، يبدو أن استقصاء جميع الحدود المشتركة بين النقد الأدبي وباقي المعارف أو العلوم الأخرى ضرب من المستحيل؛ لأنه قد يتقاطع مع مجموعة من الحقول المعرفية الأخرى تساعد –على إغناء نصه– يصعب الإلمام بها في هذا المقام لكن يكفي ما أحاط بالسلسلة من عقد. وحسبنا التأكيد مرة ثانية، أن النقد رؤية فلسفية مركبة تحتاج إلى ذوق راق مفتاحه الدربة/الخبرة على شاكلة الصيرفي الذي يميز بين الدرهم الحقيقي والزائف بعد طول مراس. ثم إنه يجب أن يستفيد من معطيات فروع المعرفة الأخرى من أدبية وعلمية كنوع من العصف الذهني، وأن يتمثلها لإغناء العمليات النقدية الأساس:– التفسير والتحليل والتقدير والإبداع والقراءة والتذوق– ضمن منهج نقدي يتناول الأدب الذي يدخل في جعبته الفكر(الفلسفة) والمواد الاجتماعية والتاريخية والنفسية وغيرها.

خاتمة

النقد الأدبي المعاصر نشاط فكري ذوقي يمارس على العمل الإبداعي تحليلا، أو تقويما، أو توجيها، أو إبداعا، أو قراءة، نستطيع بواسطته فهم وشرح الأعمال الأدبية. نستشف من هذا التعريف، تعدد نشاطات النقد (التفسير، والتحليل، والتقويم (وجهة نظر معللة)، والإبداع، والقراءة، والذوق) واتساع وظيفته، وعدم اكتفائه بدراسة النصوص وتذوقها وبيان مواطن الجودة والرداءة كما يفهم عادة من كلمة النقد، ذلك أن مجاله مفتوح على معطيات المعارف والعلوم الأخرى. وهذا لا يعني أن النقد أصبح فعالية ممزقة بل يستخدم تلك المعارف/العلوم (الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم اللغة والعلوم الطبيعية وغيرها) أولا كنوع من العصف الذهني بحيث يتيح لنفسه الانفتاح على كل الاتجاهات، وثانيا امتلاكه أدوات قد تساعده على معرفة وفهم أدق للنص الأدبي. فالنقد الأدبي بهذا المعنى، يعد من أكثر الحقول المعرفية التي تحتاج إلى تجسير سواء بينه وبين العلوم الإنسانية أو بينه وبين الفلسفة، فالظواهر الأدبية تزداد نعومة وخصوبة في ظل هذا التجسير.

المراجع

أولا المراجع العربية:

أمبريت, اندرسون إنريك. (2000). *مناهج النقد الأدبي* (مكي الطاهر أحمد، ترجمة).

أمين، محمود. (1987). *الجذور المعرفية والفلسفية للنقد الأدبي*.

أنيس, عبد عبد العظيم. (1988). شجاعة العقل وتعميق الواقعية الجديدة. *مجلة الطريق*، (3/2).
باقر جاسم, محمد. (2009). نقد النقد أم الميثا نقد؟ (محاولة في تأصيل المفهوم). *مجلة عالم الفكر*، (3).
تودوروف, تزفيتان. (1985). النقد ونقد الناقد (هاشم صالح، ترجمة). *مجلة الفكر العربي المعاصر*، (34).
حجازي, سمير سعيد. (1983). *قضايا النقد الأدبي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية*. الدار البيضاء.
حمودة, ماجدة. (1997). *علاقة النقد بالإبداع الأدبي*. منشورات وزارة الثقافة.
الخطيب, حسام. (1981). *في النقد الأدبي: حول حدود النقد الأدبي* (ط1). مؤسسة ناصر للثقافة.
دوجلاس, آلن. (1983). المؤرخ والنص والنقد الأدبي (فؤاد كمال، ترجمة). *مجلة فصول*، *1*(4).
دياب, حافظ محمد. (1983). النقد الأدبي وعلم الاجتماع مقدمة نظرية. *مجلة فصول*، *4*(1).
زعموش, عمار. (2001). مفهوم النقد الأدبي في نظر النقاد الجزائريين. *مجلة عالم الفكر*، (2).
سالم, سعد الله محمد. (2007). *الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية* (ط1). دار الحوار سوريا.
شكري, غالي. (1981). *سوسيولوجيا النقد العربي الحديث* (ط1). بيروت دار الطليعة.
شوقي, ضيف. (1954). *النقد* (ط4). دار المعارف.
شولز, روبرت. (1984). *البنيوية في الأدب* (حنا عبود، ترجمة). اتحاد الكتاب العرب.
الطاهر, جواد علي. (1979). *مقدمة في النقد الأدبي* (ط1). المؤسسة العربية للنشر.
ظاظا, رضوان. (1997). مدخل إلى مناهج النقد الأدبي. *مجلة عالم المعرفة*، (221).
العيد, يمنى. (1986). *الراوي الموقع والشكل: بحث في السرد الروائي* (ط1). مؤسسة الأبحاث العربية.
محمود , نجيب زكي. (2005). *حصاد السنين* (ط3). دار الشروق.
محمود, نجيب زكي. (1983). الفلسفة والنقد الأدبي. *مجلة فصول في النقد*، *4*(1).
مندور, محمد. (1997). *النقد والنقاد المعاصرون*. نهضة مصر للطباعة.
نعيمة, ميخائيل. (1991). *الغربال* (ط15).
هيرنادي, بول. (1989). *ما هو النقد؟* (ط.1؛ سلامة حجاوي، ترجمة) . دار الشؤون الثقافية.
وليد، قصاب. (2007). *مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية*. دار الفكر
ويليك, رينيه. (1987). مفاهيم نقدية (محمد عصفور، ترجمة). *مجلة عالم المعرفة*، (110).

ثانيا المراجع الأجنبية:

Online ISSN: 2974 – 3079 Print ISSN: 2974 - 3060

Al-Khatib, H. (1981). *Fī al-naqd al-adabī: Ḥawla ḥudūd al-naqd al-adabī (On literary criticism: On the limits of literary criticism)* (1st ed.). Nasser Foundation for Culture.

Al-Taher, J. (1979). *Muqaddimah fī al-naqd al-adabī (Introduction to literary criticism)* (1st ed.). Arab Foundation For Publishing.

Ambrette, A. (2000). *Manāhij al-naqd al-adabī (Approaches of literary criticism)* (M. Ahmed, trans.).

Amin, M. (1987). *Al-Judhūr al-ma'rifīyah wa-al-falsafīyah lil-naqd al-adabī (Cognitive and philosophical foundations of literary criticism)*.

Anis, A. (1988). Shajā'at al-'aql wa-ta'mīq al-wāqi'īyah al-hadīdah (Courage of reason and the deepening of new realism). *Al-Tariq Magazine*, (2/3).

Baqir Jassim, M. (2009). *Naqd al-naqd ām almythā naqd? (muḥāwalah fī ta'ṣīl al-mafhūm)(Criticism of criticism or meta-criticism? (An attempt to originate the concept))*. Alam Alfikr.

Barthes, Roland. (1964). *Qu'est ce que la critique. In essai critique.*

Derrida, Jacques. (1967). *L'écriture et la différence.* seuil.

Diab, H. (1983). Al-naqd al-adabī wa-'ilm al-ijtimā' muqaddimah naẓarīyat (Literary criticism and sociology: A theoretical introduction). *Fusul, 4*(1).

Douglas, A. (1983). Al-mu'arrikh wa-al-naṣṣ wa-al-naqd al-adabī (Historian, text, and literary criticism) (F. Kamal, trans.). *Fusul, 1*(4).

Eagleton, Terry. (1996). *Literary Theory;An Introduction (2 ed).*

Eid, Y. (1986). *Al-rāwī al-mawqi' wa-al-shakl: Baḥth fī al-sard al-riwā'ī (Narrator, location and form: An investigation into narration)* (1st ed.). Arab Research Foundation.

Hamouda, M. (1997). *'Alāqat al-naqd bi-al-ibdā' al-adabī (Relationship of criticism to literary creativity)*. Ministry of Culture.

Hegazy, S. (1983). *Qaḍāyā al-naqd al-adabī al-mu'āṣir: Dirāsah taḥlīlīyah naqdīyah (Issues of contemporary literary criticism: A critical analytical study)*. Aldar Albaydaa.

Hernadi, P. (1989). *Mā huwa al-naqd? (What is criticism?)* (1st ed.; S. Hijawi, trans.). House of Cultural Affairs.

Iser, Wofgang. (1985). *Acte de lecture : théorie de l'éffet esthétique.*

Jaus, Robert Hans. (1978). *Pour une ésthétique de la récéption.* Gallimard.

Mahmoud, N. (1983). Al-falsafah wa-al-naqd al-adabī (Philosophy and literary criticism). *Fusul, 4*(1).

Mahmoud, N. (2005). *Ḥaṣād al-sinīn (Harvest of the years)* (3rd ed.). Dar Al-Shorouk.

Mandour, M. (1997). *Al-naqd wa-al-nuqqād al-mu'āṣirūn (Contemporary criticism and critics)*. Nahdet Misr Press.

Naima, M. (1991). *Al-Ghorbal (Sieve)* (15th ed.).

Salem, S. (2007). *Al-usus al-falsafīyah li-naqd mā ba'da al-binyawīyah (Philosophical foundations of poststructuralist criticism)* (1st ed.). Dar Alhiwar.

Shawqi, D. (1954). *Al-naqd (Criticism)* (4th ed.). Dar Al Maaref.

Schulz, R. (1984). *Al-binyawīyah fī al-adab (Structuralism in literature)* (H. Abboud, trans.). Arab Writers Union.

Shokry, G. (1981). *Sūsiyūlūjiyā al-naqd al-'Arabī al-ḥadīth (Sociology of modern Arab criticism)* (1st ed.). Dar Al-Tali'ah.

Tadie, J-yves. (1987). *la critique littéraire au 20 siècle.*

Todorov , Tzvetan. (1986). *critique de la critique Paris.*

Online ISSN: 2974 – 3079 Print ISSN: 2974 - 3060

Todorov, T. (1985). Al-naqd wa-naqd al-nāqid (Criticism and criticism of the critic) (H. Saleh, trans.). *Journal of Contemporary Arab Thought*, (34).

Walid, K. (2007). *Manāhij al-naqd al-adabī al-ḥadīth ru'yah Islāmīyah (Modern literary criticism approaches: An Islamic perspective)*. Dar Al-Fikr

Wellick, R. (1987). *Mafāhīm naqdīyah (Critical concepts)* (M. Asfour, trans.). Alam Almarefa.

Zamoush, A. (2001). *Mafhūm al-naqd al-adabī fī naẓar al-nuqqād al-Jazā'irīyīn (The concept of literary criticism from the perspective of Algerian critics)*. Alam Almarefa.

Zaza, R. (1997). *Madkhal ilá manāhij al-naqd al-adabī (Introduction to literary criticism approaches)*. Alam Almarefa.